وشبهه ما قالت مريم عليها السلام يا ليتني مت قبل هذا بعد ما حققتها ما اكرمها الله به من الزلفى
وفضلها على نسا العالمين ولم يعب الله سبحانه عليها قولها بل حكاه عنها في معرض الثنا
عليها بالتصون عن القالة وان كانت قالة مبطل فكذلك لم يعب على رسوله سيد
المرسلين تهيبه لقالة المبطلين بل قال انك لعلى خلق عظيم حيث تهيبت قالة من لا يوبه له
عند مثلك وقهرك الحيا وانت بتلك المنزلة كما قهر العذرا الخفرة حين قالت يا ليتني مت
قبل هذا وهذا المعنى هو المروي عن زين العابدين اخرج الحكيم الترمذي وابن
جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل عن علي بن زيد بن جدعان قال قال لي علي بن حسين
ما تقول الحسن في قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه فقلت له فقال لا ولكن الله اعلم
نبيه ان زينب ستكون من ازواجه قبل ان يتزوجها فلما اتاه زيد ليشكوها اليه
قال امسك عليك زوجك فقال قد اخبرتك اني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله
مبديه انتهى ثم خص الله سبحانه غضون هذه السورة بخواص النبي صلعم فيما يرجع
الى امر النسا وفيما يعظم به حقه على عامة امته وفي بيان رفع منزلته عنده فبدا به
فامره باعتقاد تقوى الله واتباع ما يوحى اليه غير لاو على ما يصدر عن الكافرين والمنافقين
مما يخالف ذلك وان يكل امره الى الله فانه لا يضره من سواه ثم قال انه اولى بالمؤمنين من
انفسهم فلم يبق لهم معه امر ثم بلغ بازواجه غاية الاحترام تبعا لاحترامه
ثم من فضله على الانبيا حين قدمه على اعلاهم في العطف الذي جي به لتفضيلهم على من سواهم
ثم حكم مقسما على من يرجو لقا الله وهو عبارة عن المؤمنين كانه قال لكم ان كنتم مؤمنين
بالله في رسول الله اسوة حسنة ثم امره بتخيير ازواجه بينه وبين الدنيا فانه
جا للعمارة الاخرة والدنيا ضرتان كما يحكى عن عيسى عليه الصلوة والسلام الدنيا والاخرة
ضرتان بقدر ما ترضي احداهما تسخط الاخرى والطرفان فعبر بقوله عتبت على
الدنيا ستصل جاهل وحرمان ذي فضل قالت حد العذرا ذو والجهل
ابناي داهل مودتي وذو الفضل ابنا الضرة الاخرى وهو ماخوذ

من الحديث

من الحديث النبوي وان للدنيا ابنا وللاخرة ابنا وانما خيره سبحانه لئلا يكون لاحد عليه
شبهة منه ولو بحسب النظر الظاهر والعوائد واخلاق النسا وخاصة امله ثم وعظهن
وابلغ وذكرهن ما حصل عليهن من النعمة ورفعة الشان ثم قال لستن كاحد من النسا ثم وعظهم
ان اتقيتن زينب واطا ماحيني لم يبا يرغا الى الرضا بربه وسلبها الخيرة وعمم جميع
من يصدق عليه الايمان ثم صرح بزيده هذا المحض وهو انفاذ مشيئته بجعل زينب
زوجته ورفع من شانها واكرمها وكفى رسوله مونة تولي الاستنكاح فقال زوجناكها
وكانت تفتخر بذلك ثم بين سبحانه الحكمة التي سيق اليها هذا المساق وهو هدم التبني وما يترتب
عليه حتى يكون من الشريعة المستمرة حل زوجة المتبنى الذي احترز عنه في سورة النسا
بقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم ثم كر سبحانه اماطة غبار قول المبطلين وجهل الكاملين
بقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وبين انها سنة في انبيائه الماضين ثم وصف
الانبيا بوصف هو صفة نبيه محمد صلعم الا انه علل سنته فيهم بانها فيهم بتبليغ الرسالة وانهم
يخشونه سبحانه ولا يخشون غيره فما سكن نبيه صلعم مما سكتهم الا لانه متصف بما اتصفوا به
من التبليغ والخشية المذكورة فالخشية الثابتة له هي التي ثبتت لاخوانه الانبيا منفية
ومثبتة والتي اثبتها له من خشية الناس هو الحيا والتصون كما ذكرنا فيهما منبها ثانيا ونظيره
ما وصف من اخلاقه صلعم ان جليسه كان يظن انه احب الناس اليه حتى طمع عمرو بن العاص
فقال من احب الناس اليك يا رسول الله فذكر عليه وهو يعد رجالا عشرة ثم سكت
خشية ان يجعله في اخرهم فخشية الناس المذكورة من ذلك الخلق العظيم وحين يكون
الحاجة الى الافصاح عن الحقائق تقف عنده فتركت ثم رجع الى ما كان هو بصدده من
هدم التبني خصوصا في حقه صلعم فقال ما كان محمد ابا احد من رجالكم ثم بين خصيصته العظمى
بانه خاتم النبيين ثم بين احواله مع ازواجه وانتقى له اكرمهن من الغرائب المهاجرات
ثم حكمه في عشرتهن وجعلها على مشيئته في الارجا والايوا والتقلب في ذلك كيف شا
مرة بعد اخرى ثم وعظهم ان يدخلوا بيوت النبي الا على وجه خاص فجعل الاصل المنع
لانها تتصل بحال ازواجه مبالغة في احتشامهن ثم اتصل بذلك الحجاب حتى جا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)